النعم التي لا تحصى والسؤال "المخيف"!

السوبر ماركت شبه خالٍ في الصباح الباكر، كانت تقف أمام ركن الحلوى تتأمل الأشكال والألوان المبهرة ... في العاشرة من عمرها وملابسها بسيطة تدل على أنها لا تنتمي للمنطقة التي توصف بـ "الراقية"! لاحظتها ثم انشغلت في مشترياتي المتنوعة، وعلى "الكاشير" وقفت خلفي، كان كل ما تحمله "نصف كيلو لبن" من النوع الرخيص، بمجرد أن رأيت نظرتها للأشياء التي معي وتذكرت وقفتها أمام الحلوى ارتبكت تمامًا كطفل صغير وأنا أضع الأشياء أمام "الكاشير"! لم أستطع أن أنظر لها ولم أعد أتحمل نظرتها؛ لم تكن نظرة حقد أو حسد ولكنها كانت نظرة لها ألف معنى مؤلم جدًّا، قررت أن أتصرف بسرعة رغم ارتباكي، سألتها بود عن دراستها فابتسمت وأشرقت وأخبرتني أنها نجحت في الصف الرابع، كانت تتحدث ببراءة وفرحة فقد فوجئت أن هناك من لاحظها واهتم بأمرها، هنأتها على النجاح وربَّت على رأسها وأخبرتها أن لدي ابنتين في مثل عمرها ثم أحضرت إحدى قطع الحلوى الغالية وأعطيتها لها قائلًا "دي مكافأة نجاحك من واحد زي أبوكي بجد، هدية تستحقيها وإوعي تكسفيني"، ترددت فأصررت بشدة ... مدت يدها وأخذتها بحياء شديد، ابتسمت وأنهيت مشترياتي

وجلست في سيارتي أراقبها من بعيد، كانت تسير ممسكة بقطعة الحلوى و تنظر لها وهي مبتسمة وسعيدة فعلًا ... ثم اختفت لتواصل رحلتها الصعبة على هامش صفحة الحياة في مدينة لم تعد ترحم!

أشياء بسيطة تصنع فرحة كبيرة، ونعم كثيرة ومخيفة! تظنه أعطاك ومنع غيرك لأنه يحبك ويميزك!! "انت فاكر كدة فعلًا؟!" لا والله، ولكنه الاختبار المخيف والوقوف والحساب الطويل والأسئلة المرعبة بعد نهاية الرحلة ... وحتمًا ستنتهي!

ولا بد من حياة أخرى بعدها؛ يعافى فيها المبتلى ويعطى فيها المحروم ويعاقب فيها المجرم ويقتص فيها من الظالم، هناك ... حيث السعادة الأبدية والراحة الدائمة والنعيم المقيم، حيث لا تعب ولا نصب ولا حزن ... ويومها تتلاقى النفوس الطيبة والأرواح النقية مع الصديقين والصادقين والصالحين والمصلحين، وذلك هو الفوز العظيم... ذلك هو الفوز العظيم!

***